

المحاضرة(01): النحو العربي/النشأة والتفصيل

التسمية: كان علم النحو على عهد أبي السود الدؤلي يسمى: علم العربية؛ ويتأكد ذلك من خلال ما أورده ابن سلام الجمحي في كتابه (طبقات فحول الشعراء) حيث قال: «وكان أول من استن العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها، أبو الأسود الدؤلي»¹. ومما جاء من أثر عن ابن قتيبة في كتابه (المعارف) الذي قال فيه: «أول من ضبط العربية أبو الأسود الدؤلي»². وكذلك فيما حملته كتابات ابن حجر العسقلاني في كتابه (الإصابة في أحوال الصحابة) والذي دون فيه قوله: «أول من ضبط المصحف ووضع العربية أبو الأسود الدؤلي»³. فالمتأمل لهذه النصوص يتضح له أن مصطلح (العربية) هو المصطلح المتداول بين الذين عاصروا أبا الأسود الدؤلي، ومن جاء بعدهم من أعلام اللغة إلى عهد الخليل؛ كمقابل لمصطلح(النحو). وأن هذا الأخير ظهر أول ما ظهر على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي(175هـ) حينما قال:

بَطَّلَ النَّحْوُ جَمِيعًا كُلَّهُ *** غَيْرَ مَا أَحَدَتْ عَيْسَى بْنُ عُمَرَ⁴

سبب التسمية: انقسم أهل العلم في تسمية علم النحو بهذه التسمية إلى فريقين:

* **الفريق الأول:** يرى أصحاب هذا الاتجاه أن سبب اطلاق مصطلح(النحو) على هذا العلم؛ إنما يعود بالأساس إلى استنباط كلمة الإمام علي -رضي الله عنه- التي

¹ - ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود شاكر، مصر: 1952، دار المعارف، ص10.

² - ابن قتيبة، المعارف، تح: ثروت عكاشة، مصر، دار الكتب، ص403.

³ - ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، مصر: 1323هـ، مطبعة السعادة، ج4، ص203.

⁴ - ينظر: صلاح روي، النحو العربي-نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله- القاهرة: 2003، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص48.

وجّه بها أبا الأسود الدؤلي حينما عرض عليه ما كان قد وضعه من النحو فأقره الإمام بقوله: «ما أحسن هذا النحو الذي نحوت»⁵.

* **الفريق الثاني:** هذا الفريق يرى أن أصل التسمية مأخوذ من معنى كلمة (نحو)؛ وفق ما أورده ابن الأنباري في كتابه (نزهة الألباب في أخبار الأدباء) فقال: «أما تسمية هذا العلم بهذا الاسم فلعلها مأخوذة من معنى الكلمة، وهو: الاتجاه والقصد، و'ذا كان القصد هنا خاصا إلى لغة العرب، واستعمالها، ووظيفة الكلمات فيها، فتخصيص العام في اللغة أمر شائع مألوف»⁶.

وما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أنه ورد في كثير من المؤلفات النحوية مصطلح (النحو) تحت تسمية (الإعراب) نحو ما جاء على لسان الجرجاني في كتابه (الوساطة بين المتبني وخصومه) إذ قال: «إن المتبني أحد رجلين إما نحوي لغوي لا بصر له بصناعة الشعر، أو معنوي مدقق لا علم له بالإعراب، ولا بصر له في اللغة». فالإعراب هنا مقابل النحو.

كما ورد المفهوم متداخلان في كتابي: (مغني اللبيب عن كتب الأعراب) لابن هشام، و(إعراب القرآن) لأبي إسحاق النحوي.

بين الإعراب والنحو:

1- مفهوم الإعراب:

1- لغة: جاء في المعجم الوسيط «(أَعْرَبَ) فلانٌ: كان فصيحاً في العربية وإن لم يكن من العرب، و- الكلام: بيّنه، و- أتى به وفق قواعد النحو، و- طبّق عليه قواعد النحو، و- بمراده ولم يوارب، وأعرّب عن حاجته: أبان. وأعرّب الاسم الأعجمي:

⁵ - صلاح روي، النحو العربي-نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله- ص50.

⁶ - ابن الأنباري، نزهة الألباب في أخبار الأدباء، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، ص6.

نطق به على منهاج العرب...»⁷. وكما هو ملاحظ في النص؛ فلفظة (الإعراب) في عمومها تفيد: الإبانة والوضوح.

ب- اصطلاحاً: يعرفه محمود حسني مغالسة بقوله: «الإعراب تغير حركة آخر الكلمة من رفع إلى نصب إلى جر وفق تغير موقعها من الإعراب مثل:

طلع الهلال، شاهدَ الناسُ الهلالَ، فرح الناسُ بالهلالِ»⁸. فالإعراب هو تغيير الحركات الذي يطرأ على أواخر الكلمات تبعاً لتغير الموقع الإعرابي، نحو: جاء زيدٌ، ورأيتُ زيداً، ومررتُ بزيدٍ.

2- مفهوم النحو:

1- لغة: ورد في المعجم الوسيط: «(النحو): القصد. يقال: نحوْتُ نحوه: قصدت قصده. ونحو: الطريق. و- الجهة. و- المقدار. و- المثل. و- النوع. (ج) أنحاء، و نُحُو...»⁹.

الواضح من هذا النص أن لفظة (نحو) تحمل معانٍ عدة، منها:

- القصد، مثل: نحوْتُ نحوك، أي: قصدتك؛
- الجهة، مثل: مشيت نحو المسد، أي: جهة المسجد؛
- المقدار، مثل: لك عند التاجر نحو مئتي دينار، أي: ما مقداره مئتي دينار؛
- المثل، مثل: صادفت شخصاً نحوك قوة، أي: قوته مثل قوتك؛

⁷ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، مادة (ع-ر-ب).

⁸ - محمود حسني مغالسة، النحو الشافي، ط3، بيروت: 2007، مؤسسة الرسالة ناشرون، ص27.

⁹ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة (ن-ح-و).

- النوع، مثل قولنا: البلاغة ثلاثة أنحاء، أي: ثلاثة أقسام: المعاني، والبديع، والبيان.

ب- اصطلاحاً: عرّف ابن جني النحو في كتابه (الخصائص) بقوله: «انتحاء سمّت كلام العرب، في تصرّفه من إعراب وغيره، كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكبير، والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رُدَّ به إليها»¹⁰. ويعرّفه صاحب (المفتاح) بقوله: «هو أن تتحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها، ليحترز بها من الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية، وأعني بكيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعض، ورعاية ما يكون من الهيئات...»¹¹ وفيه ما يجب أن يكون عليه مستخدم اللغة العربية، سواء أكان من العرب أم من غيرهم؛ من دراية وعلم بقوانين هذه اللغة المستنبطة من كلام العرب، حتى تكون له القدرة على نسج وتركيب الكلم وفق ما بنت عليه العرب كلامها؛ حتى يحترز من الوقوع في الخطأ، وحتى تتم الفائدة.

نشأة علم النحو: يذهب جمهور من العلماء إلى أن وضع النحو العربي كان في صدر الإسلام؛ اقتضته حاجة العرب بعد اختلاطهم بغير العرب من الأمم الأخرى (الفرس، والروم، والنبط، والسريان...) باتساع رقعة الإسلام وكان منشأه بالعراق (البصرة والكوفة ثم بغداد في مرحلة موالية) على حدود البادية؛ أين كان ملتقى العرب بغيرهم؛ حيث توطنه الجميع لرشاء العيش فيه. فكان هذا الاجتماع من

10 - أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط5، القاهرة: 2011، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، ص35.

11 - أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، ط3، لبنان: 2014، دار الكتب العلمية، ص125.

أهم الأسباب الداعية لانتشار اللحن؛ فكان أظهر بلد انتشر فيه وباء اللحن؛ مما جعل أهل العربية في ذلك العصر يفكرون فيما يمكن أن يحمي لغتهم، ويدفع اللحن الذي وصل إلى مصدر التشريع الأول (القرآن الكريم) فاهتدوا إلى وضع علم النحو العربي.

ويرى فريق آخر أن النحو العربي قديم فيهم قدم اللغة العربية، ابلته الأيام، وجدده الإسلام على يد أبي الأسود الدؤلي بإرشاد من الإمام علي -كرم الله وجهه-.¹²

آراء المستشرقين في نشأة النحو العربي: اختلفت وجهات نظر المستشرقين وآراؤهم في نشأة النحو العربي وأصالة هذه النشأة؛ فانقسموا فرقا ثلاثة:

* **الفريق الأول:** يرى أصحاب هذا الفريق أنّ النحو العربي نشأ ببيئة عربية - العراق- وفي فترة زمنية لم تكن فيها فرصة التواصل والاحتكاك بالأمم التي سبقت الأمة العربية إلى تعويد لغاتها كاليونانيين والهنود والسريان قد وصلت إلى مرحلة الأخذ والعطاء- النصف الأول من القرن الأول الهجري- ثم إنّ الأسباب التي دعت إلى قيامه؛ هي أسباب خاصة تتعلق بلغة العرب؛ وخاصة ما تعلق منها بظاهرة اللحن التي تفشت في المجتمع العربي بعد اتساع رقعة البلاد الإسلامية؛ ولا يخفى على أحد نفور العربي من هذه الظاهرة التي تخالف سليقته العربية، وفطرته التي جبل عليها، كما أنه وضع أصلاً لتعليم العربية لغير الناطقين بها، أو لإعادة من خرج عنها -عن قاعدتها- به إليها وهذا كافٍ لأن يكون مبنياً على أسس عربية خالصة ثم تدرج وفق سنن التطور حتى وصل إلى الهيئة التي استوى عليها غير مقيس على أنحاء لغات أخرى.

ومن هذا المنطلق قال الفيلسوف الفرنسي دي بور (débor): «إنّ علم النحو العربي أثر رائع من آثار العقل العربي، لما فيه من دقة في الملاحظة، ونشاط في جمع ما تفرق، وهو في هذا يحمل المتأمل على تقديره، ويحق للعرب أن يفخروا به».¹³

* **الفريق الثاني:** ذهب أصحابه مذهباً وسطاً بين من يقول بأصالة النحو العربي، ومن يقول بأنه وبعد النشأة العربية الخالصة تأثر بالفلسفة اليونانية في بعض جوانبه التنظيمية والتقسيمات، وفي التعريفات والتعليل؛ وهذا ما قال به المستشرق ليمان؛ حيث يقول: «...ونحن نذهب في هذه المسألة مذهباً وسطاً... وهو أنه أبدع العرب علم النحو في الابتداء، وأنه لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه، لكن لما تعلم العرب الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراق، تعلموا شيئاً من النحو...»¹⁴ فإذا كان كل ما جاء في كتاب سيبويه من اختراع العرب-سيبويه والذين سبقوه من النحاة العرب، نحو: عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، وابن أبي إسحاق الحضرمي، وأبو الأسود الدؤلي، ونصر بن عاصم الليثي... فهذا دليل على أن النحو العربي خالص العروبة في منشئه وما زاد على ما اخترعه العرب بعد احتكاكهم بالسريان في بلاد العراق لا يكاد يكون أكثر من بعض الأمور التنظيمية أو بعض التقسيمات. ثم ما المقصود بأنهم تعلموا شيئاً مع النحو بعد أن تعلموا الفلسفة اليونانية؟ ما فائدة أن يتعلم العربي نحو لغة لا علاقة لها باللغة العربية؟ وكيف يستفيد من هذا النحو - اليوناني - في خدمة لغته؟ خصوصاً ونحن نعلم أن النحو العربي إنما وُضع لتعليم غير الناطقين بها من غير الأمم الداخلة في الإسلام؛ لأداء بعض الشعائر الدينية، أو لرد من خرج عن قاعدتها - لحن - به إليها.

* **الفريق الثالث:** وخلص أصحاب هذا الفريق إلى أن النحو العربي نُقل عن النحو اليوناني عن طريق النحو السرياني بعد أن احتك العرب بالسريان في أرض العراق؛ وذلك لأن النحو السرياني وُضع «بمدرسة نصيبين في القرن السادس الميلادي، ولا شك في أن هذا النحو تأثر بالنحو اليوناني ومنطق أرسطو، ومن بين واضعيه والمشتغلين به مترجمون اتصلوا بالعرب ونحاتهم وعاشوا معهم، فيعقوب الرهاوي له شأن في وضع النحو السرياني، وهو معروف في الأوساط العربية، وحنين بن إسحاق مترجم آخر معاصر للخليل وسيبويه، بل صديق للخليل، ومن اليسير أن نتصور أنه

13 - ينظر: صلاح روي، النحو العربي-نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله-، ص 21.

14 - المرجع نفسه، ص 33.

قد تبادل فيما تبادل مع الخليل بعض القواعد النحوية، خصوصا وهو يعزى إليه أنه ترجم بعض كتب الأجرومية اليونانية»¹⁵ الملاحظ أن هذه المقولة مبنية على شك في أن النحو السرياني قد يكون قد تأثر بالنحو اليوناني - - ولا شك في أن هذا النحو تأثر بالنحو اليوناني ومنطق أرسطو - السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح في هذا الموضوع ؛ هل يكفي أن نشك في وجود علاقة بين النحو السرياني والنحو اليوناني؛ لتكون موجودة؟ ثم لنفرض أن هذا الشك حقيقة، فهل مُعاصرة واحد ممن وضعوا علم النحو السرياني أو المشتغلين عليه - يعقوب الرهاوي - أو أحد مترجمي بعض أجزاءه - حنين بن إسحاق - كافٍ للحكم بتأثر النحو العربي بغيره من الأنحاء؟ وكان من بين من أيد هذا الطرح من المستشرقين:

- بروكلمان: شكك هذا المستشرق في البدايات الأولى لعلم النحو العربي، ورمى أوائل علم اللغة العربية بالغموض وعدم اتضاح الرؤية، فقال: «إنَّ أوائل علم اللغة العربية ستبقى دائما محفوفة بالغموض...»¹⁶ إنَّ المتأمل لهذه المقولة يَحَقُّ له أن يطرح بعض الأسئلة، نحو: هل هذا الغموض خاص ببدايات علوم العربية فقط، أم هو متعلق ببدايات علوم اللغات الأخرى؟ وهل فعلا هذا الطرح صادر عن ذات علمية باحثة عن الحقائق العلمية دونما تدخل للعاطفة، وحب الذات، أم هو نابع عن ذات مستعلية متعصبة ترى ما ليس غريبا بنظرة دونية؟

كما شكك أيضا في الدراسات التي أنجزها أبو الأسود الدؤلي، وفي وجود تلاميذ له، فقال عن هذه الدراسات أنها: «... من قبيل الأساطير دراسات أبي الأسود الدؤلي وتلاميذه المزعومين...»¹⁷ هل هذا يعني أن هذه الدراسات غير موجودة لبعدها الزمني عنا؛ فإن كان الأمر كذلك؛ فالنحو اليوناني أبعد زمانا من زماننا، فكيف له أن يحكم بعلمية هذا - النحو اليوناني - وعدم علمية هذا - النحو العربي - مع العلم بأن

15 - صلاح روي، النحو العربي - نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله - ، ص32.

16 - كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار وآخرون، القاهرة: 1993، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مج2، ص444.

17 - المرجع نفسه، ص444.

هذا الأخير، أو ما رُوي عن دراسات أبي الأسود الدؤلي قائم على الملاحظة المباشرة والبسيطة، والتي يمكن أن يتحقق منها كل مشكك فيها، ثم إنَّ أثر هذه الملاحظات- الحركات الإعرابية- قائم إلى يومنا هذا. أضف إلى ذلك شهادة أهل العلم وتدوينهم لهذه الشهادات في سجلاتهم الخالدة عمّا أنجزه هؤلاء الأعلام؛ فإذا كان علم النحو في عهد أبي الأسود الدؤلي عبارة عن ملاحظات يسيرة؛ اهتدى إليها بالنظر في أساليب الكلام العربي؛ بدعوى محاربة اللحن، والحفاظ على لغة القرآن الكريم، وأقبل تلاميذه يأخذون عنه، وتلاميذهم يأخذون عنهم؛ فيأخذ اللاحق عن السابق، حتى هياً الله للنحو بعد أن كان نظرات علمية متفرقة وملاحظات متناثرة؛ من يصوغه صياغة علمية مبنية على العلل والأقيسة؛ فكان ابن إسحاق الحضرمي (117هـ) الذي قيل فيه: «هو أول من بعج النحو، ومد القياس، وشرح العلل، وكان مائلاً إلى القياس في النحو».¹⁸ وهناك كثير من الروايات المتواترة التي تثبت ذلك. وأما عن التشكيك في وجود تلاميذ لأبي الأسود الدؤلي؛ فكتب تاريخ النحو العربي؛ تشهد بأنَّ جُلَّ رجال الطبقة الأولى، نحو: يحيى بن يعمر العدواني الليثي (129هـ) وميمون الأقرن، وعنيسة بن معدان المهري وكان يكنى (عنيسة الفيل)؛ بأنهم من تلاميذ أبي الأسود الدؤلي.

وما يمكن أن نخلص إليه؛ هو أن رمي البدايات الأولى للدراسات اللغوية العربية بأنها من الأساطير؛ إنّما هو رمي للعقل العربي بالقصور، واتهام له بالنقص والدونية، وأنه غير مؤهل لأن يبتكر علماً مجرداً كعلم النحو العربي المبني في مجمله على الملاحظة والقياس والتعليل، أو قل هو إنكار لجهود جهابذة العربية الأوائل؛ وبالتالي هو تقديم للقول بتأثر النحو العربي بالنحو اليوناني.

- **يوهان فك:** سار هذا المستشرق على نفس المسلك الذي نهجه بروكلمان؛ حيث طعن في أصل نشأة علم النحو العربي؛ من خلال التشكيك في الروايات المقترنة

18 - ع/ صلاح روي، (النحو العربي نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله) أبو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، مصر، مطبعة الحلبي، ص 31.

بهذا العلم؛ فقال: «هذه الروايات المتفرقة المتضاربة غير تاريخية بالمعنى الصحيح».¹⁹ والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح في هذا الموضوع، هو: ما الحجة العلمية التي برر بها هذا الباحث-يوهان فك- حكمه بعدم تاريخية هذه الروايات؟ فهل هو تعدد الروايات واختلافها؟ أو هو تعدد مصادرها؟ أو تعدد رواتها؟ أو هل تقديم للتشكيك في البحوث العربية برمتها؟

إن المتأمل لهذه الروايات التي يسند فيها وضع علم النحو إلى:

- أبي الأسود الدؤلي بتوجيه من الإمام علي-كرم الله وجهه-؛
- أبي الأسود الدؤلي بتوجيه من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛
- أبي الأسود الدؤلي بتوجيه من زياد بن أبيه والي البصرة؛
- أبي الأسود الدؤلي من تلقاء نفسه، ودون الإشارة من أحد.²⁰

إنّ هذا الاختلاف في سرد هذه الروايات، قد يكون بسبب اختلاف الرواة؛ كأن يكون كل واحد منهم قد نهل من منبع يختلف عن الآخر، ولم تكن الرواية من مصدر واحد؛ فالرواية الأولى نقلها ابن الأنباري. والثانية: وثقها ابن الأنباري والسيوطي والقفطي من حديث أبي الحسن المدائني عن عباد بن مسلم عن الشعبي. والثالثة: من رواية الأصمعي. والرابعة: فتنسب إلى علي بن محمد الهاشمي نقلًا عن أبيه.²¹ أو قد يعود لأبي الأسود الدؤلي نفسه؛ بحكم تنقله من مدينة الإسلام الأولى-المدينة المنورة- إلى البصرة، ونقله البذرة الأولى لهذا العلم، وتناقل الناس أخبارها فاختلقت باختلاف ناقليها. وقد يكون هذا الاختلاف راجع لاختلاف الأوضاع السياسية من جيل إلى جيل.

¹⁹ - يوهان فك، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، تر: عبد الحليم النجار، القاهرة: 1951، مطبعة

دار الكتاب العربي، ص21.

²⁰ - ينظر: صلاح روي، النحو العربي نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله، ص52.

²¹ - ينظر المرجع نفسه، ص51.

الملاحظ أن هذه الروايات التي تحدثت عن الأحداث والوقائع المقترنة بالتفكير في وضع علم نحو العربية مختلفة، ولكن هذا الاختلاف إذا كان سببا في التشكيك للتضارب الحاصل بينها؛ فقد هو نفسه حجة على صدقها؛ لأنه من غير المعقول أن يفرع العربي للتفكير في علم كعلم النحو العربي الذي وُضع على درجة عالية من الدقة؛ لمجد لحن لرجل سُمع في مكان ما من بلاد الإسلام، فقد كان من الممكن أن يُرد بالتوجيه والإرشاد؛ فينطق اللفظة التي لحن فيها على وجه صحيح، ولكن الأمر كان أكبر من ذلك؛ فظاهرة تفشي اللحن اتسعت رقعتها وخاصة بعد اتصال العرب بغيرهم من الأمم التي دخلت في الإسلام من الروم والفرس والأحباش... فظهر اللحن في مناطق مختلفة؛ في المدينة المنورة وفي البصرة وفي غيرها من بلاد الإسلام؛ فخشي العرب على سلامة لغتهم، وعلى كتاب الله وسنة رسوله فما كان من أهل العلم إلا التصدي لهذه الظاهرة؛ فتعددت الروايات بتكرار الحوادث والمواقف التي ظهر فيها اللحن.

لقد أجمعت كل الروايات أن الواضع هو أبو الأسود الدؤلي؛ فكيف لاحظ هذا المستشرق اختلاف الروايات، ولم يلاحظ هذا الإجماع والاتفاق على شخصية واحدة-أبو الأسود الدؤلي- كما اتفقت معظم هذه الروايات على أن السبب الرئيس لنشأة هذا العلم؛ هو ظهور اللحن في قراءة القرآن من طرف الموالي خصوصا. أليس في هذا الإجماع دليل على أن واحدة من هذه الروايات على الأقل صحيحة؟ وخاصة منها ما كانت بإرشاد من أميري المؤمنين: علي ابن أبي طالب وعمر بن الخطاب؛ لغيرتهما الشديدة على دين الله، وعلى سنة رسوله الكريم؛ وأن المساس باللغة العربية مساس بالدين الإسلامي.

ما أول ما وُضع من النحو العربي؟ لقد انقسم العلماء في البحث في هذه المسألة على فريقين:

- فريق يرى أن أول ما وضع من أبواب النحو؛ ما وقع فيه اللحن أولاً، ثم استمر الوضع على هذا النحو حتى اكتملت أبوابه، نحو:

- أخطأت ابنة أبي الأسود الدؤلي في التعبير عن تعجبها من جمال السماء، أو شدة الحرّ؛ فوضع باب التعجب؛
- أخطأ القاريء في قراءة قوله تعالى: ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة:37]. فقال: "الخاطئين" فوضع باب الفاعل،
- أخطأ الفارس (سعد) في رده على أبي الأسود الدؤلي، حينما سأله أبو الأسود الدؤلي عن عدم ركوبه على حصانه، فقال: "إن فرسي ضالعا" فوضع باب اسم إنّ وخبرها.

وهكذا تم بناء هذا العلم حتى اكتملت أبوابه.

- وفريق ثانٍ يرى أن أول ما وضع من أبواب هذا العلم؛ هو ما كان أقرب إلى متناول الفكر في الاستنباط ويستند أصحاب هذا الرأي إلى أن الوضع كان مبنيا على أساس من التفكير المنهجي في استخراج القواعد من كلام العرب.

واضع علم النحو: اختلف الناس في من وضع علم النحو، فمنهم من قال: أبا الأسود الدؤلي؛ ومنهم من قال: نصر بن عاصم الليثي؛ وفريق ثالث، قال: عبد الرحمان بن هرمز؛ وقال آخرون: علي بن أبي طالب. ولكن الراجح فإنّ أكثر الروايات تُجمع على أن أبا الأسود الدؤلي هو واضع علم النحو؛ سواء أتم الأمر بأمر من الإمام علي - رضي الله عنه - أم من تلقاء نفسه.²²

أسباب نشأة النحو: يمكن أن نجمل هذه الأسباب في ما يأتي:

- انتشار اللحن الناتج عن اختلاط العرب بالعجم في البصرة والكوفة، وغيرها من أرض العراق؛ بعد الفتح الإسلامي واتساع رقعة الإسلام؛
- شغف الموالى بمعرفة وسائل تعلم اللغة العربية؛ خصوصا وأن هذا العلم إنما وضع في بعض جوانبه لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وهذا ما صرح به ابن

جني في قوله: «... ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة،
فينطق بها وإن لم يكن منهم...»²³؛

- شغف الموالى بتعلم العربية؛ لتبوء بعض المناصب السياسية في عهد الأميين
الذين اشترطوا على كل من يريد منصبا سياسيا أن يكون متقنا للغة العرب.

مراحل نشأة النحو:

1- المرحلة الأولى: وفيها كان علم النحو عبارة عن أنظار ومسائل عامة تثار في
مجالس العلماء؛ على نحو ما كانت عليه نشأة أي علم؛ إذ كان «ما وضعه أبو
الأسود الدؤلي من النحو مجرد ملاحظات يسيرة، هدي إليها بالنظر في الأساليب
واستقراءها على قدر الطاقة في المقامات المتنوعة، ويسر له بفضلها أن يستتبط منها
ضوابط لا تبلغ مبلغ القواعد التي تقر الأحكام في اطراد وشمول»²⁴. وأجلّ عمل كان
في هذه المرحلة؛ نقط الإعراب الذي ابتكره أبو الأسود الدؤلي، وبه حُلت مشكلة
ضبط أواخر الكلمات كما يُعدُّ هو الأساس الذي انطلقت منه مصطلحات (الفتح
والضم والكسر) والتي استعملها النحويون بعد ذلك.

2- المرحلة الثانية: وكما رأينا في المرحلة السابقة أن الأصل في كل علم «أن تبدأ
فيه نظرات متناثرة هنا وهناك، ثم يتاح له من يصوغ هذه النظرات صياغة علمية،
تقوم على اتخاذ القواعد، وما يطوى فيها من علل وأبنية...»²⁵. وهكذا كانت مسيرة
الدرس النحوي العربي؛ إذ وُفق العلماء في هذه المرحلة إلى وضع كثير من أصوله،
وازدادت مباحثه؛ فاستطاعت طائفة علماء هذه المرحلة أن تضيف «الكثير من
القواعد ونشأت حركة النقاش بينها، فجدت في تتبع النصوص واستخراج الضوابط ما

23 - ابن جني، الخصائص، ج1، ص35.

24 - ع/ محمد روي، النحو العربي. علي النجدي ناصف، تاريخ النحو، مصر: 1978، دار المعارف،
ص11.

25 - شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف المصرية، ص18.

هياً لها وقتها، واستطاعت التصنيف، فدونت فيه بعض كتب مفيدة...»²⁶ وكان من أهم عناصر هذه الطائفة: عبد الله بن إسحاق الحضرمي (117هـ) الذي قيل فيه: «هو أول من بعج النحو، ومد القياس، وشرح العلل، وكان مائلاً إلى القياس في النحو»²⁷.

3- المرحلة الثالثة: وكانت بداية هذه المرحلة ابتداء من النصف الثاني للقرن الثاني الهجري على أيدي أفاض في اللغة العربية من أمثال تلاميذ أبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفي، وعبد الله بن إسحاق الحضرمي؛ نحو: الخليل بن أحمد الفراهيدي، وتلميذه: سيبويه (180هـ) ويونس بن حبيب (182هـ) وغيرهم. وما تجدر الإشارة إليه أنه في هذه المرحلة نضج النحو، ونوقشت قضايا ومسائله، وتكاملت بنيته، وقام هيكله؛ بمعنى أنه صار علماً قائماً بكل مستوياته وأساسه وأصوله؛ وهذا ما تُرجم في (الكتاب) لسيبويه.

مأخذ على النحو العربي: يمكن أن نذكر من هذه المآخذ ما يأتي:

- لم يقعد للغة كاملة؛ بل قعد للغة، ومكان، وزمان، وناس خاصين.
- لم يميز بين مستويات الدراسة؛ فالمتداول في كتب الأوائل من علماء اللغة كان يساير» روح هذا العهد فقد كانت مزيجاً من النحو والصرف واللغة والأدب وما إلى ذلك من علوم اللغة العربية، لأن هذه الفروع كانت متداخلة... فكان الأديب حينذاك نحوياً صرفياً لغوياً، والنحوي أديباً لغوياً صرفياً وهكذا»²⁸.

26 - محمد طنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص38.

27 - أبو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، مصر، مطبعة الحلبي، ص31.

28 - محمد طنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص39.